طافة ازهار من كتاب النشوار (١)

كتب الاستاذ رئيس المجمع العلمي في الجزء السادس من السنة الثانية لهذه المجلة الصفحة ١٠٠ تقريظاً لكتاب (نشوار المحاضرة) تأليف القاضي أبي عبدالله المحسن التنوخي المتوفى سنة (٣٨٤ هـ) عرف القراء منه منزلة هذا الكتاب ومضامينه وموجزاً من خبره . وقد أحببت في مقالي هذا أن أدل على ما فيه من الكلمات اللغوية والتراكيب الكتابية . التي بعضها عربي محض عرفه اهل اللسان وجرى على أسلات ألسنتهم . وبعضها لم يعرفوه وانما أحدثه من جاء بعدهم من الكتّاب والمنشئين . واستعملوه في كلامهم بسائق ما في طبيعة اللغة العربية من طيب النجر . واتساع الصدر . لقبول المعرّب والدخيل . فكان في ذلك منتهى التيسير والتسهيل . ناهيك ان المؤلف نفسه سمى كتابه (نشوار المحاضرة) والنشوار فارسية الأصل بمعنى جرّة الحيوان المجترّ . وكان المؤلف يصف بعض الفضلاء في كتابه فيقول : كان فلان طيّب النشوار . أو حسن النشوار : يريد انه طيب الحديث . غزير مادة المحاضرة . وكأن المؤلف قد اراد بما اورده في كتابه من الأخبار والآثار أن يصف لمن جاء بعده الحالة الاجتماعية في القرن الرابع للهجرة وكيف كان يعيش رجال الطبقة العالية من وزراء وقضاة ومن اتصل بهم في ذلك العهد : فالكتاب من هذه الجهة من خيرة الكتب التي تصلح ان تكون مصدراً لتاريخ الاجتماع الاسلامي . كما أنه من جهة ثانية يصلح أن يُستدل بعبارته واسلوب انشائه على تاريخ طائفة من كلمات اللغة العربية . وطرائق استعمالها منذ الف سنة . وسوف يتبين للقارئ مما نسرده من كلمات الكتاب وتعابيره أن منها ما هو من أصيل اللغة ومنها ما هو من دخيلها الذي لا نستعمله نحن اليوم

(١) كتبت مقالتي هذه على اثر مطالعتي لكتاب (نشوار المحاضرة) اي منذ سنتين ثم قدمتها لتنشر في مجلتنا هذه واذا صديقنا العلامة (احمد تيمور باشا) يرسل الينا مقالته المسهبة . بل رسالته المذهبة . التي علّقها على الفاظ الكتاب المذكور . فلم نر بداً من تقديم نشرها . فنشرناها تباعاً في اجزاء السنة الماضية . ونعود في فاتحة هذه السنة الى مقالتنا المرجأة فننشرها في ثلاثة اجزاء من هذه المجلة « المغربي »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومنها ما هو من دخيلها الذي ما زلنا نستعمله . ومن كلمات الكتاب (كلمات إدارية) يحسن برجال الادارة والحكومة والقانون اليوم أن يتفطنوا لها . فيتداولوها بينهم ويحلوها محل غيرها مما هي أصلح منه وأليق بالاستعمال . وهي التي نفتتح بها مقالنا هذا :

« كلمات ادارية »

لم اجد المؤلف اكثر من استعمال كلمة بقدر ما استعمل كلمة (التصرّف) ومشتقاتها . فهو يقول : (صرف الوزيرُ فلانًا) يعني عزله . وفلان (مصروف) أي معزول . و(صرّف الخليفةُ المقتدر فلانًا بفلان) أي ولاّه مكانه . و(قد صرّفني الوزير طول هذه المدة) اي شغلني بالوظائف فيكون التصريف بمعنى التولية والتقليد . أما (التصرُّف) فتارة يستعمله بمعنى تولي عمل من اعمال الدولة كما نقول نحن (التعيّن) و (التوظّف) فيقول : قال الوزير لفلان (لا تصرَّف لك عندي) وقال بعض العمال للوزير (اني ما اتصرّف خوفًا من الفقر . وانما اريد الزيادة في الجاه) . ولعل الاتراك العثمانيين قد اقتبسوا من هذا الاستعمال كلمة (المتصرّف) و (المتصرفية) للوظيفة الادارية التي هي دون (الوالي) وفوق (القائمقام) . وكذلك (المدير) الذي هو دون (القائمقام) : فان صاحب (النشوار) يقول :(وكان فلان إذ ذاك يدير أمور الولاية) فقوله (يدير) اي يتعاطى ويباشر ثم جاءت منه كلمة (إدارة) و(مجلس الادارة) و (مدير) و (مديرية) .

وضد التصرّف بمعنى التوظّف (التعطّل والعطلة) فان صاحب النشوار يستعملها كما نستعمل اليوم كلمة (آجيق) و (معزول) أي لا وظيفة له قال في النشوار(كان فلان تقلّد القضاء قديمًا ثم تعطّل فأضاق ولزم المسجد) ومعنى (أضاق) صار ذا ضيق وعسر . وتارة يستعمل المؤلف كلمة (التصرُّف) بمعنى السعي في طلب المعاش قال : (فهل تحسن تتصرّف وتكسب المال) و (سافرت أنا وجماعة من أصدقائي نريد مصر للتصرّف) و (تصرّفت ببذني في بعض المهن) أي جعلت اكتسب من طريق ايجار نفسي فاكون حمّالاً أو أجيراً . و (طالبني فلان بالتصرُّف معه فأبيت) اي بالاشتغال معه في امور الدنيا أو بأن أعامله في الأخذ والعطاء فامتنعت

« التنأ »هذه المادة تدل على التوطن بالمكان : يقال تنأ فلان بالبلد يتنأ تنوءًا إذا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قطنه وأقام فيه وهو تانئ والجمع تُنّاء . وفلان من تُنّاء البلد الفلانية أي هو من سكانها أو ان اصله منها ويقابل (التُنّاء) (الطُرّاء) والطرّاء الذين يفدون على البلد فينزلون فيه: قال صاحب النشوار (وجاء اكابر التجّار والكتّاب والتنّاء الى دار الوزير يشكون اليه جور العمّال وكثرة الضرائب) (وأنا رجل كان آبائي تُنّاء تجّاراً عظيمي النعمة). فالتُنّاء وضدُّها الطرّاء في لغة العرب بمنزلة قولنا نحن اليوم (الوطنيين) و (النزلاء) أو (السكّان) و (الغرباء) . والأتراك يسمون (التانئ) (يرلي) وكتّاب (الحقوق الادارية) يستعملون كثيراً كلمة (الأهالي) في مقابلة (الحكومة) فلو استعملوا (التُنّاء) مكان (الأهالي) و (التانئ) مكان (الفرد من الأهالي) كان حسناً . واذكر ان الكتاب في مصر يطلقون كلمة (ارباب « المصالح الحقيقية ») على افراد الاهالي المتمكنين في البلاد بكثرة ما لهم فيها من الأملاك والعقارات . فلعل كلمة (التنّاء) في كلام صاحب النشوار قد اريد بها هذا المعنى

وفي (النشوار) قال الوزير لبعض كتّابه (تعمل الجرائد وتسلمها الى المستخرج وتقول له اريد أن يصح المال في كذا وكذا يوماً عند الجهبذ . والا دققتُ يديك على رجليك) : فقوله (دققتُ يديك على رجليك) كلمة تهديد وكأنه يريد أن يجمع بين يديه ورجليه بالقيود والأغلال . أما (الجرائد) واحدها (الجريدة) فيستعملونها بمعنى (القائمة) و (القوائم) وكثيراً ما نسمي اليوم القائمة (ليسته) وهي كلمة دخيلة . كما نستعمل الجريدة بمعنى (الصحيفة) التي نكتب فيها الأخبار العامة : وقوله (المستخرج) يريد به الجابي وهو ما نسميه اليوم (التحصلدار) او (المحصّل) وفي كتاب (حكاية أبي القاسم البغدادي) (باوجه المستخرج في يوم السبت . بالإفطار الصائم على الخبز البحت) فلعل الحكومة كانت تعطّل والأهالي يتعطّلون ويتنزهون يوم الجمعة فيفجأهم المستخرج أي المحصّل بطلب المال يوم السبت فيستثقلونه كما يستثقل صبيان المكاتب يوم السبت ايضاً . وقوله (يصحُّ المال في كذا وكذا يوماً) يعني يجمع ويتحصل كله . او يؤدّى ويسلّم كله . وقوله (الجهبذ) يريد به ما نسمي به اليوم (الصرّاف) و (المحاسبه جي) و (صندوق أميني) و(الخزنه دار) واما عدد من الكلمات الادارية التركية . على أن كلمة (الجهبذ) فارسيّة عرّبت وأصلها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي النشوار (فوجدوا في داره جرائد بأسماء من بايعه على الخلافة) (جرائد) اي قوائم .

وقال في النشوار (ودفع رجل الى الوزير قصة يذكر فيها من أمره كيت وكيت) قوله (قصة) يريدون بها في زمانهم ما نريده بكلمة (استدعاء) ويجمعونها على (قصص) بعنون استدعاآت . واصل معنى (القصّة) الحديث والخبر يُروى ويُقصّ على الغير . ويحتمل ان تكون القصّة من (القَصّ) بمعنى القطع اذ هي ورقة مقصوصة قد كتب فيها . ومثل (القصة) (الرُّقعة) فانهم كانوا يستعملونها بمعنى (الاستدعاء) ايضاً وجمعها رقاع . قال في النشوار (هات رقاعك كلها في موضعٍ واحد) واصل معنى الرقعة القطعة من الورقة يكتب فيها . اما قولهم في (موضع واحد) فهو بمنزلة قولنا (دُفعة واحدة) و (مرة واحدة) اي ضعها أمامي كلها فأوقع لك فيها وأستريح . ولا تقدمها لي واحدة بعد واحدة فيطول الأمر عليّ .

قال (اكتب الى أصحاب الأطراف بأن يتسلّموا الغلاّت ويبيعوها ويتقبيض المبلغ الى المستخرج أو الجهبذ) : قوله (أصحاب الاطراف) يعني عمّال النواحي الذين نسميهم قائمقامين ومديرين . وقوله (يتسلّموا) هو الصحيح الفصيح . ونحرّفه نحن اليوم فنؤخر التاء عن السين ونقول (يستلموا) تسلّم الشيء قبضه أما استلم فليس بمعنى القبض وانما معناه تناول الحجر الأسود ولمسه بالراحتين أثناء الطواف حول الكعبة وكأنه مشتق من السلام بكسر السين جمع سَلِمة بفتح فكسر وهي الحجارة أو من (السُلامى) وهي عظام الكفين . وقوله (بتقبيض المبلغ) أي أدائه ودفعه وتسليمه .

وقال (عمل الكاتب جماعةً تحتوي على ارتفاع ناحيةٍ من بلاد فارس وعلى مشايخ الناحية ومعاملاتها وخراجها وما أُدّي وما بقي ودخل ذلك وخرجه . وكان يرفع حسابها الى الوزير . ثم طلبت الجماعة ففقدت) . قوله (جماعة) يفهم من سياق الكلام ان المراد بها الدفتر الذي يحتوي على القيود والحسابات المتعلقة بدخل الناحية وخرجها . ولا أعلم إن كانت ميمها مخففة أو مشددة وجيمها مكسورة أو مفتوحة . أما (الارتفاع) فمعناه إيراد الناحية . فهو بمعنى الدَخْل والريع ولكن لا يستعمل الا في مثل الكورة والناحية والمقاطعة . فلا يقال ارتفاع الدار والدكان . وانما يقال ربعها ودخلها . وقوله (مشايخها ومعاملاتها) هما بمعنى ما نستعملها فيه اليوم تقريباً

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كما يفهم من سياق الكلام : فالمشايخ شيوخ الناحية واختيارياتها . و (معاملاتها) قيودها وحساباتها الرسمية . وقال ايضاً بهذا المعنى (فأنفذ العمال الى ضياعي وأمرهم بنقض معاملاتي)

قال (وكان ابن مقلة يخلف الوزير على عدة دواوين) قوله (يخلف) هو هنا بمعنى ينوب منابه عند اللزوم في رؤية اشغال الدواوين ومباشرة أعمالها . وادارة شؤونها . ويفهم منه أنه كان للوزير وقاضي القضاة في زمانهم موظف يساعده إذا مرض أو سافر أو شغل بأمر من الامور ويسمون هذا الموظف (خليفة الوزير) و (خليفة القاضي) وهو ما نسميه نحن اليوم (رئيس ثاني) أو (نائب رئيس) أو (معاون رئيس) ويقولون فلان أحد خلفاء القضاة أو الوزراء يعنون ما ذكرنا

قال (وأمر الوزير خازنه بإطلاق المال له فأطلقه له على الفور) قوله (إطلاق) بمعنى (صرف) التي نستعملها اليوم . وكلمة (صرف) بهذا المعنى اي بمعنى اعطاء المال ليست فصيحة : لأن (الصرف) معناه تغيير الدراهم وتبديلها من جنس الى آخر فيحسن أن تستعمل كلمة إطلاق مكانها : فيقال امر الحاكم بإطلاق معاشات المأمورين . وفلان لم يطلقوا له راتبه الى اليوم . وهكذا .

وقال (ما سمعوا بمن بلغ مبلغ هذا المحتسب في ضبط العامة ورفع الغشوش) يريد بالمحتسب ما نسميه اليوم (رئيس بلدية) تقريباً ووظيفته الحسبة . وكلمة (ضبط) مستعملة هنا بما يقرب من المعنى الذي تستعمل به عند رجال الحكومة اليوم : فيقولون ضبط وربط . والضابطة والانضباط والضبطية . و (الغشوش) جمع غش وهو ما يقع بين الباعة والمشترين من الختل والخديعة في المكاييل والموازين والاسعار .

قال (وقد أفاض الحاضرون في مدح الوزير وذكر عمارته للوقوف والسقايات وإدراره الماء في نهر خوزستان) قوله (الوقوف) جمع وقف ونقول نحن في جمعها (أوقاف) واهل المغرب يسمون الوقف (حبس) ويجمعونه على حبوس وأحباس . و (السقايات) جمع سقاية وهي ما نسميه (سبيل الماء) تشرب منه السابلة والمارة . وقوله (إدراره الماء) أي إسالته وإجراؤه في ذلك النهر (لها بقية)

المغربي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net